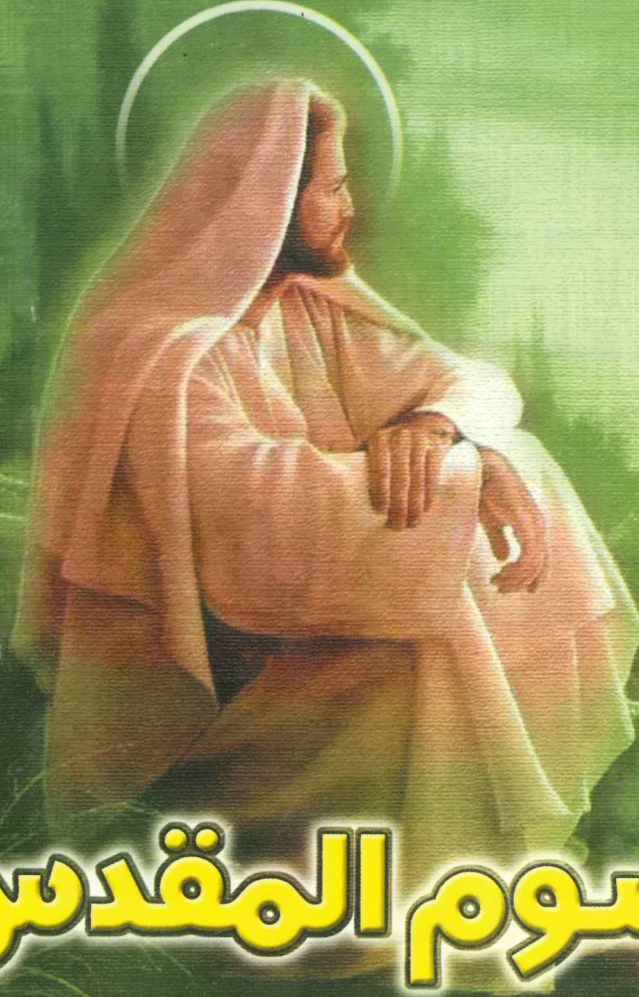




نصوص آبائية

- ٨٧ -



# الصوم المقدس

للقديس باسيليوس الكبير

المركز الأثوذكسى  
للدراسات الآبائية بالقاهرة  
نصوص آبائية - ٨٧

# الصوم المقدس

## عظتان للقديس باسيليوس الكبير

ترجمة

د. سعيد حكيم

د. جورج عوض

مراجعة

د. جوزيف موريس

مارس ٢٠٠٥

تصميم الغلاف: مكتب شبرد لفصل الألوان (م. نيفين نبيل).

اسم الكتاب : الصوم المقدس  
اسم المؤلف : القديس باسيليوس الكبير  
ترجمة : د. جورج عوض . د. سعيد حكيم  
اسم الناشر : مؤسسة القديس أنطونيوس – المركز الأرثوذكسي للدراسات  
الأبائية بالقاهرة : ٨ (ب) ش إسماعيل الفلكي محطة المحكمة  
مصر الجديدة ت: ٢٤١٤٠٢٣

E-mail: [santonio@link.net](mailto:santonio@link.net)

اسم المطبعة : دار يوسف كمال للطباعة  
٢ش المدارس حدائق القبة ٤٨٢٧٠٧٤ - ٤٨٦٥٣٧٨  
رقم الإيداع : ٥٣٧٦ لسنة ٢٠٠٥ م  
الترقيم الدولي : I . S . B . N . 977 - 5057 - 67 - 1



قداسة البابا شنودة الثالث  
بابا الأسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية

# المحتويات

صفحة

٥

..... مقدمة

١١

..... العظة الأولى

٢٩

..... العظة الثانية

## مقدمة

### القديس باسيليوس الكبير، أسقف قيصرية

ينتسب القديس باسيليوس إلى عائلة تقية جداً، عُزف عنها الثراء الشديد. ولدينا تفاصيل كثيرة عن حياته على عكس الكثيرين من آباء الكنيسة. والعديد من القديسين المعروفين ينحدرون من عائلته. جدته تدعى ماكرينا، وأمه تدعى أماليا، أما أبوه فيحمل نفس الاسم "باسيليوس". كما يُعد القديس غريغوريوس أسقف نيصص هو الأكثر شهرة بين إخوته وهم: القديس بطرس أسقف ساباستيا، والقديس نافاكراتيوس، واخته القديسة ماكرينا.

وُلد القديس باسيليوس في قيصرية كبادوكية سنة ٣٣٠م، حيث بدأ دراساته الأولى، في مدرسة للخطابة بالمدينة. ثم أكمل دراساته في القسطنطينية وأثينا، حيث تعرّف بالقديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات. وعاد إلى بلده سنة ٣٥٦م، وعمل لفترة قصيرة بالخطابة، إلا أنه ترك العالم وذهب إلى البرية لكي يستطيع أن يتعمق في الحياة النسكية. وقام بزيارة نساك معروفين في سوريا وفلسطين ومصر وفي بلاد ما بين النهرين. إلا أنه فيما بعد رجع إلى وطنه واعتزل في مكان بالقرب من موضع مولده. وهناك زاره القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات سنة ٣٥٨م، وكتبوا معاً الفيلوكاليا التي هي مقتطفات من أعمال أوريجينوس، وأيضاً كتبوا قوانين رهبانية لتنظيم حياة الرهبان، وقد ساعدت هذه القوانين في انتشار الحياة الرهبانية في هذه المنطقة. في حوالى سنة ٣٦٤م. رُسم القديس باسيليوس كاهناً بيد الأسقف يوسابيوس القيصرى، ثم بعد ذلك خلفه كأسقف لقيصرية بعد ستة سنوات من هذا التاريخ (٣٧٠م)، بل وصار رئيساً لأساقفة منطقة بنطس.

نجح القديس باسيليوس في مقاومة محاولات الإمبراطور فالنس لفرض التعاليم الأريوسية الهرطوقية على الكنيسة، تلك التعاليم التي كانت تنكر ألوهية الابن المتجسد. ولأجل هذا السبب كان على اتصال دائم بالقديس أثناسيوس الأسكندري، والبابا داماسوس في روما. أما في الحقل الاجتماعي فإن نشاط القديس باسيليوس كان نشاطاً واسعاً. وبسبب الثراء الذي كان تتمتع به عائلته، تمكن من تأسيس مجموعة من المؤسسات للرعاية الصحية والاجتماعية للمحتاجين، كانت تحمل اسمه وهي تلك المعروفة بـ (βασιλεῖα). وتنيح القديس باسيليوس سنة ٣٧٩م. وتُعيد له الكنيسة في ٦ طوبة.

**تصنف كتاباته إلى ما يأتي:**

#### ١ - كتابات عقائدية:

+ ضد أفنوميوس، وهو كتاب مؤلف من ثلاثة أجزاء، وفيه يؤكد على وحدة الجوهر بين الأقانيم الثلاثة. وقد أُضيف إلى هذا العمل كتابين آخرين كتبهما فيما بعد القديس دينيوموس الضرير.

+ عن الروح القدس وقد أرسله إلى أمفيلوخوس، ودافع فيه عن ألوهية الروح القدس. وقد تُرجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية.

#### ٢ - نسكية:

له مجموعة قوانين نسكية تتألف من ٨٠ قانوناً وهي تعتمد على شواهد مختلفة من العهد القديم.

+ كتب مجموعة موسعة من الأسس التي تخص الحياة الرهبانية وهي تتألف من ٥٥ فصلاً، حول المبادئ العامة للرهبنة. وهذا العمل قد كُتب من سنة ٣٥٩ حتى سنة ٣٦٢م.

+ كتب مجموعة مبادئ تتألف من ٣١٣ فصلاً، وهي تختص بالحياة اليومية للرهبان.

### ٣- مقالات:

كتب عدة مقالات عن أيام الخليقة الستة تدور حول خلقه الله للعالم (تك ١: ١-٢٦) (٩ عظات).

عظات عن المزامير وهي ذات محتوى يساعد على البناء الروحي (١٨ عظة).

كتب ٢٣ مقالةً عالج فيها أمور تخص السلوك المسيحي وأيضاً عن الاحتفالات الدينية، كتب أيضاً عن:

+ أن الله ليس مسبباً للشرور.

+ عن الإيمان.

+ ضد سابيلْيوس، وضد آريوس، وضد أفنوميوس وأتباعه.

### ٤- رسائل:

حُفظت ٣٦٥ رسالة تحمل بعضها اسمه، والبعض الآخر منسوب له. وهي تعالج موضوعات متنوعة.

### ٥- القديس الإلهي

المعروف بالقديس الباسيلي.

\*\*\* \*\*

### هاتان العظتان:

عن الصوم، لا تشكلان وحدة واحدة، لكنهما منفصلتان الواحدة عن الأخرى. ألقاهما القديس باسيليوس في الأحد الأول من الصوم الأربعيني، في عامين مختلفين. بالنسبة للعظة الأولى، فإن سنة إلقائها غير معروفة على وجه التحديد. أما بالنسبة للعظة الثانية فمن المحتمل أن يكون قد ألقاها



سنة ٣٧٠م، والمفترض أن العظة الأولى كانت قد أقيمت قبل ذلك التاريخ بقليل. وهو يشير في كلتا العظتين إلى موضوع الصوم خمسة أيام كل أسبوع، هذه الإشارة تتعلق بالصوم الإنقطاعي كل أيام الأسبوع عدا يومى السبت والأحد. وهاتان العظتان تمثلان شهادة على ممارسة الكنيسة الأولى للصوم الأربعيني المقدس منذ وقت مبكر.

في العظة الأولى ينصح القديس باسيليوس بممارسة الصوم بفرح وببشاشة الوجه، لا بعبوس وحزن بسبب تغيير الأطعمة في فترة الصوم. ويؤكد على أن الصوم عندما يدخل إلى عمق النفس فإنه يमित الخطية الساكنة فيها. ويشير إلى أن عدم الصوم يُسبب السقوط. وفي هذه العظة يحذر أيضًا من إدمان الخمر الذي يؤدي إلى فقدان الوعي ويُبعدنا عن الله، حيث كانت عادة الإسراف في شرب الخمر من العادات المنتشرة في ذلك العصر والتي عمل الآباء ومنهم القديس باسيليوس على محاربتها باستمرار في عظاتهم في مناسبات كنسية عديدة وفي كثير من كتاباتهم أيضًا. كما يشير في هذه العظة إلى أن عدم الصوم جعل عيسو عبدًا لأخيه، وأن الصوم جعل إيليا يرى الرب على جبل حوريب، وأعاد الحياة إلى ابن الأرملة. وهو الذي حفظ الفتية الثلاثة في أتون النار وهو الذي جعل الأسود لا تقترب من دانيال. كما أنه يسوق مثل الغنى ولعازر، ليؤكد على أن الرفاهية في الحياة هي التي سلمت الغنى لأتون النار، ولكي نطفئ نار هذا الأتون فإننا نحتاج إلى ماء الصوم. وفي هذا نحن نقف بالقدسين في صومهم وفي سلوكهم. لكن ينبغي ألا نحصر الصوم في الابتعاد عن الأطعمة فقط لأن الصوم الحقيقي هو الابتعاد عن الشرور.

وفي العظة الثانية ينصح المؤمنين ويحثهم على ممارسة الصوم ويؤكد على أهمية ذلك. ويقول إن الصوم لا ينحصر في مجرد الامتناع عن بعض الأطعمة، لكن مفهوم الصوم يتضح ويتجلى في عفة المؤمن، وموقفه المتجرد تجاه أمور العالم المادية، وخضوعه لإرادة الله. وفيها أيضاً يهاجم الإسراف في شرب الخمر الذي يؤدي إلى فقدان الاتزان والتعقل، الناتج عن السكر، ويحارب أيضاً رذيلة أخرى هي رذيلة الفجور والفسق، ويعتبرها من الأمور التي تفسد حياة الإنسان وتُحطمها. وفي نفس الوقت يقدم النموذج الصحيح للإنسان المسيحي، الذي يسلك في تجرد وبساطة وجدية وورع، ويحمل فكر قد انعتق من كل القيود المادية لهذا العالم الحاضر. ويؤكد أيضاً على أن الصوم يُهذب النفوس ويجعلها مملوءة بالسلام وبعيدة عن البخل والطمع وكل شر.

الأصل اليوناني لهاتين العظمتين موجود بالمجلد رقم ٣١ مجموعة ميني Migne اليونانية ( P.G. 31, 164A-197C ). تمت الترجمة عن النص اليوناني المنشور في مجموعة آباء الكنيسة اليونانية (EITE) الصادرة في تسالونيكي ١٩٧٣ المجلد رقم ٦ ص ٢٢-٧٥.

ليهنا الرب أن نتمتع ببركات الصوم الأربعيني المقدس بصلوات القديس باسيليوس وصلوات قداسة البابا الأنبا شنودة الثالث. للمسيح إلهنا كل مجد وكرامة مع الآب والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور أمين.

المركز الأرثوذكسي للدراسات  
الآبائية

٧ مارس ٢٠٠٥ م  
٢٨ أُمشير ١٧٢١ ش  
بدء الصوم الكبير

# العظة الأولى

## الصوم الحقيقي<sup>١</sup>:

يوصينا النبي قائلاً: "انفخوا في رأس الشهر بالبوق عند الهلال ليوم عينا" (مز ٨١:٣). إن الكلمات تُعلن لنا بحسب (إش ٥٨:٤-٦) — والتي هي أعظم من الأبواق وأجدر من كل الآلات الموسيقية — عن مجيء عيد الأعياد. فلقد عرفنا من إشعياء نعمة الصوم، فهو الذي استنكر طريقة اليهود في ممارسة الصوم وأظهر لنا الصوم الحقيقي عندما قال: "ها إنكم للخصومة والنزاع تصومون"، "أليس هذا صوماً اختاره؟ حلّ قيود الشر" (إش ٥٨:٤-٦). والرب يقول "ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين. فإنهم يغيرون وجوههم لكي يظهروا للناس صائمين. الحق أقول لكم إنهم استوفوا أجرهم. وأما أنت فمتى صُمت فادهن رأسك واغسل وجهك" (مت ٦:١٦-١٧).

دعونا نتصرّف كما تعلّمنا — فلا نظهر عابسي الوجه في أيام الصوم القادمة، لكن علينا أن نظهر بوجه بشوش كما يليق بالقدسين. فعديم الشفقة لا يتوج، ولا عابس الوجه يحتفل بنصر. فلا يليق أن أفرح وأسعى نحو صحة النفس، بينما ينتابني حزن بسبب تغيير الأطعمة في فترة الصوم، لماذا أفرح وأهتم براحة الجسد، في الوقت الذي لا أبالي براحة النفس؟! فالحقيقة أن الرفاهية تعوق استمتاع البطن بالمأكولات، أما الصوم فيجلب فائدة إلى النفس. لهذا ينبغي عليك أن تفرح إذ أعطى لك دواءً فعلاً من الطبيب، دواءً

<sup>١</sup> العناوين الجانبية من وضع المترجم.



يُمحى الخطية. لأنه كما تموت الديدان التي تحيا في أمعاء الأطفال بدواءٍ فعّال، هكذا الصوم عندما يدخل إلى عمق النفس فإنه يميت الخطية التي تسكن فيها.

٢- إن كلمات الرب: "ادهن رأسك واغسل وجهك" (مت ٦: ١٧) تدعوك إلى ممارسة الأسرار. فالذي يُدهن يُمسح والذي يغتسل يتطهر. ونحن نتكلّم عن الإنسان الداخلي، فهيا طهّر نفسك من الخطايا ولتمسح رأسك بالمسحة المقدسة لتصير شريكاً للمسيح. وهكذا تأتي إلى الصوم. فلا تكتئب وتكسى وجهك بالسواد مثل المرثيين. فالوجه يكسوه السواد عندما يتلون الإنسان الداخلي بالرياء، فيتغطى الشكل الخارجى بقناع كاذب مُزيّف. فالممثل هو الذي يلبس قناعاً على وجهه وهو على المسرح. كما أن العبد مرات كثيرة يلبس قناعاً ليتشبه بالسيد، وبعض المرات يلبس قناعاً ليتشبه بالملك. هكذا في هذه الحياة نجد الأغلبية من البشر - كأنها على مسرح - تلعب أدواراً تمثيلية، فهم يحملون في القلب أموراً دفيئة بينما يظهرون إلى الناس أموراً أخرى مغايرة. إذاً لا تضع قناعاً على وجهك بل عش على حقيقتك.

لا تتملق وتظهر بوجه عابس، لتقتنص مجداً ليس لك. فبالإحسان الذي تفعله علناً وبالصوم الذي لا تتوانى في إعلانه جهاراً لن تستفيد شيئاً، لأن أمور النفاق والتملق التي تمارسها بطريقة ظاهرة لا تثمر ثماراً للحياة الأبدية، فأنت تُفسد الثمار بقبولك لمديح الناس. أسرع إذاً بفرح إلى نعمة الصوم. فالصوم هو عطية وهبت لنا منذ القدم وهو لا يهرم ولا يشيخ. بل يتجدد دائماً وينمو ويزهر لكى يأتي



بثمارٍ ناضجة.

### أقدمية الصوم:

٣ - هل تظن أن الصوم هو أقدم من الناموس؟ نعم إن الصوم هو أقدم من الناموس. انتظر قليلاً وتمهل وسوف تتحقق من صدق كلامي. لا تظن أن بداية التشريع بممارسة الصوم بالنسبة لإسرائيل كان في اليوم العاشر من الشهر السابع (لا ١٦: ٢٩، ٢٣: ٢٧). بل تعال نغوص داخل التاريخ لنجد بداية للصوم. فالصوم ليس هو ابتداء حديث. فالصوم جوهره عالية ورثناها من الأجداد، وكل شئ قديم جدير بالوقار. لبيتك تُقدّر معى أقدمية الصوم. فالصوم قديم قدم البشرية. لقد شرّع الصوم في الفردوس. فوصية آدم الأولى كانت: " من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً. وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها " (تك ٢: ١٦-١٧).

فعبارة "لا تأكل" هي تشريع للصوم والانضباط. فلو مارست حواء الصوم وتجنبت الأكل من ثمر هذه الشجرة، ما كنّا في حاجة إلى هذا الصوم لأنه " لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى " (مت ٩: ١٢). فخطيتنا هي التي جلبت علينا المرض. فدعونا إذاً لنشفى بالتوبة، غير أن التوبة بدون ممارسة الصوم هي باطلة " ملعونة الأرض بسببك. وشوكاً وحسكاً تنبت لك وتأكل عشب الحقل " (تك ٣: ١٧-١٨).

إن الوصية قد أعطيت لك لكي تعيش وتحيا حياة الاختبار، لا لكي تحيا حياة سهلة، حياة الرفاهية بدون اختبار. هيا تحدّث مع الله وتعرّف على أهمية الصوم. الحياة في الفردوس كانت مثلاً للإنسان



الصائم. ليس فقط لأن الإنسان كان يشارك الملائكة على المائدة وتشبهه بهم عندما عاش في قناعة، لكن أيضًا لأن كل ما ابتدعه الإنسان بفكره فيما بعد لم يكن موجودًا في الفردوس. فلم يكن شرب الخمر موجودًا بتاتًا، ولم تكن هناك ذبائح حيوانية ولا كل ما يكثر الذهن البشرى.

### خطورة عدم الصوم:

٤ - ولأننا لم نصم فقد تعرّضنا للسقوط من الفردوس. إذا علينا أن نصوم لكي نأتى إليه مرة ثانية. ألم ترى كيف أن لعازر دخل إلى الفردوس بواسطة الصوم؟ (انظر لوقا ١٦: ٢٠-٣١). وليتك لا تجعل قصة مخالفة حواء لوصية الصوم مثالاً تحتذيه وتقبل مرة أخرى نصيحة الحية، تلك الحية التي فضلت الأكل والاهتمام بالجسد. لا تتعلّل بالمرض والضعف الجسدى وترفض ممارسة الصوم. ولا تصنع أمامى مبررات لعدم صومك بل اعترف بها للذي يعرف كل الخبايا. فأخبرنى إن كنت لا تستطيع أن تصوم، ودعنى أسألك: ألا تسعى لإشباع جسدك طوال حياتك وتسحقه تحت وطأة الانسياق وراء شهوة الأكل والشرب. إننى أعرف جيدًا أن الأطباء يفرضون على المرضى الانقطاع عن الأكل أو تناول أطعمة خفيفة ويمنعون عنهم الأطعمة الدسمة. لذا أقول لك كيف أنك تقدر على فعل كل ما يوصيك به الأطباء بينما تتعلّل الآن بأنك لا تقوى على ممارسة الصوم؟! هيا نتحاجج معًا ما هو الأكثر سهولة على الإنسان، أن ينام طوال الليل بعد أن يتناول أطعمة خفيفة أم بعد أن تمتلئ معدته بأطعمة ثقيلة؟ ماذا تقول؟ هل من السهل أن ينفذ القائد



سفينة تجارية محملة بأثقال كثيرة أم سفينة مَحْمَلة بأحمال خفيفة؟! إن السفينة المحملة بأثقال كثيرة عندما تتعرض لنوة بحرية صغيرة فإنها تغرق بسهولة، أما تلك التي بها أحمال معقولة ومتوازنة فإنها تعبر الدوة البحرية طالما لا يعوقها شئ عن الارتفاع واجتياز هذه النوة. هكذا أجساد البشر عندما تثقل بالثخمة المستمرة فإنها تُصاب بسهولة بأمراض كثيرة. لكن عندما تصير هذه الأجساد منضبطة بتناولها أطعمة خفيفة فإنها تتجنب الإصابة بالأمراض حتى تلك التي يسببها المناخ السيء، ولا يعترئها الملل حتى لو كان مثل الدوامة في هجومه. والإنسان الذي له قوة إرادة إيجابية من السهل أن يشعر بالكفاية الذاتية والقناعة أمام ملذات العالم، بينما عندما يترك الإنسان الضعيف نفسه يتناول أطعمة كثيرة ومتنوعة وفاخرة وشهية فإنه لا يبلغ حد الكفاية فيسبب لنفسه أنواع كثيرة من الأمراض.

### الصوم تقليد آباءى:

٥ - ليت حديثنا يمضى نحو فحص أقدمية الصوم، وكيف أن كل القديسين حافظوا على هذا التقليد الآبائى الذي استلموه وسلّموه إلينا. ولتعلم أن الخمر لم يكن موجودًا في الفردوس، فلقد ظهر الخمر بعد الطوفان ولا كان هناك ذبح للحيوانات ولا أكل للحوم. ويقول الكتاب - بعد الطوفان - " كل دابة حية تكون لكم طعامًا. كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع " (تك ٩: ٣).

### نوح لم يكن يعرف إدمان الخمر ثم أدمنه:

في ذلك الوقت عندما تراجع الكمال ظهر التمتع. والمثال على عدم معرفة الخمر هو نوح الذي لم يكن يعرف استخدام الخمر، إذ لم



يكن الخمر دخل في حياة البشر، ولم يكن قد شاع استخدامه بين البشر. هكذا نوح لم يكن قد رأى أحد يشرب الخمر، ولا هو نفسه قد ذاق الخمر ثم وقع في إيمانه، إذ يقول الكتاب " *وابتدأ نوح يكون فلاحًا وغرس كرماً. وشرب من الخمر فسكر وتعري داخل خبائه*" (تك: ٢٠: ٩-٢١). وحدث ذلك الأمر لا لأن نوح كان مدمناً خمرًا لكن لأنه لم يكن يعرف الكمية المعتدلة في الشرب. بالتالي جاء اكتشاف شرب الخمر وإيمانه بعد الطرد من الفردوس أي أن الإنسان كان قد مارس الصوم في الفردوس.

### موسى النبي يقترب إلى الله بالصوم بينما الشعب يحتقر الصوم:

لقد اقترب موسى من الجبل بعد أن صام (خر ٢٤: ٨)، إذ لم تكن له الجرأة لأن يقترب من قمة الجبل الذي كان يدخن، ولم تكن له الشجاعة أن يأتي إلى الضباب إن لم يكن قد تسلح بسلاح الصوم. لقد قبل موسى الناموس بعد أن صام، ذلك الناموس الذي كتب على لوحى الشريعة بإصبع الله. وبينما صار الصوم أعلى الجبل سببًا لإعطاء الشريعة، تسببت شراهة شعب أسفل الجبل في الوقوع في عبادة الأصنام، إذ " *جلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب*" (خر ٣٢: ٦). لقد أفسد إيمان الخمر ما كان ينتظره موسى من صومه وصلاته لأن النبي رأى أن شعب الله المخمور لم يكن يستحق هذه الشرائع خلال الأربعون يومًا. وهكذا نرى وكأن الخمر قد كسر لوحى الشريعة للذنان كتباً بإصبع الله. هذا الشعب الذي عرف الله من خلال معجزات عظيمة حدثت له — في لحظة — بسبب الشراهة في عبادة الأصنام. قارن إذاً بين الحالتين كيف أن الصوم يقود إلى





الله وكيف أن الشراهة تقود إلى الهلاك.

### فاعلية الصوم:

٦ - ما الذي نجس عيسو وجعله عبدًا لأخيه؟ ألم يكن طعام بسيط هو الذي تسبب في أن يبيع البكورية؟ (انظر تك٢٥:٣٠-٣٤). وصموئيل النبي ألم يُسمح بفضل صلاة وصوم أمه؟ (انظر اصم١:١٣-١٦). ما الذي جعل شمشون محاربًا وبطلًا شجاعًا؟ ألم تتجبه أمه بفضل الصوم؟ (انظر قض١٣:٤) الصوم هو الذي أنجبه فهو قد أتى بإرادة الصوم، والصوم صنع منه رجلاً. الصوم هو الموضوع الذي تحدث عنه الملاك لأمه قائلاً: " من كل ما يخرج من حفنة الخمر لا تأكل وخمرًا ومسكرًا لا تشرب وكل نجس لا تأكل. لتحذر من كل ما أوصيتها " (قض١٣:١٤).

### أنشودة الصوم:

الصوم حارس للنفس، ورفيق أمين للجسد،

الصوم سلاح الشجعان، ومدرّب النساك،

الصوم يصدّ التجارب، ويُمهد الطريق للتقوى،

إنه رفيق الهدوء وصانع العفة

الصوم يعمل أعمالاً باهرة في الحروب،

ويُعلّم السكينة في وقت السلام

الصوم يُقدّس النذير<sup>٢</sup> ويجعل الكاهن كاملاً.

الصوم يجعل العاقر تلد أولادًا،

<sup>٢</sup> النذيرين هم جماعة من اليهود مكرسون لله يقسم وهم يبتعدون عن شرب الخمر وعن تناول بعض الأطعمة. مثل هؤلاء كان شمشون وصموئيل ويوحنا المعمدان.



ويصنع الأقوياء، ويجعل المشرّعين حكماء

لأنه كيف للكهنة أن يصلى بدون صوم؟ لقد كانت ممارسة الصوم أمراً ضرورياً ليس فقط في عبادة العهد الجديد السرائرية ولكن أيضاً بالنسبة للعبادة الناموسية.

### الصوم وإيليا النبي:

الصوم هو الذي جعل إيليا النبي يشاهد رؤى إلهية. إذ صام مدة أربعين يوماً وتفتت نفسه واستحق أن يرى الرب على جبل حوريب (١مل ١٩: ٨-٢٣)، الأمر الذي هو صعب الحدوث لأى إنسان. بالصوم أعاد إيليا الحياة إلى ابن الأرملة، فأقامه وسلّمه إليها، إذ بواسطة الصوم برهن أنه أقوى من الموت.

لقد خرج أمراً من فم إيليا الصائم بأن يتوقف المطر - بسبب معصية الشعب - ثلاث سنوات ونصف واستجابت السماء لأمره. لقد فضل أن يحكم على نفسه مع الآخرين بهذا الحكم الشديد حتى يلين قلب الشعب القاسى. لذلك قال "حى هو الرب إله إسرائيل الذي وقفت أمامه أنه لا يكون ظل ولا مطر في هذه السنين إلا عند قولى" (١مل ١٧: ١). لقد دعا كل الشعب إلى صوم لكى يواجهوا الشر الذي أتى من حياة التراخي والتلذذ بالأكل والشرب.

ما السبب في أن حياة إيشع النبي مثال للسيرة الحسنة. تأمل كيف أن المرأة الشونمية استضافته، وكيف أنه هو نفسه كان يستضيف بنى الأنبياء؟ انظر معى هل قدّم لبنى الأنبياء قليل من الخبز مع نباتات برية سامة؟ بالطبع لا، لأن واحداً من هؤلاء خرج إلى الحقل وجمع يقطيناً برياً ساماً ووضع مع السليقة في القدر

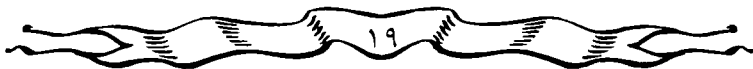


ولكن بفضل صلوات هذا النبي الصائم — إذ كان الموت متربصاً  
بمن يأكل ما هو موجود في القدر — اختفى السُم من الطعام.  
(٢مل٤: ٣٩—٤١).

### الصوم والفتية الثلاثة:

من السهل أن ترى — وبشكل عام — الصوم وهو يقود كل  
القديسين إلى مدينة الله. مثلاً، يوجد مادة يسمونها الأمنت<sup>٣</sup> لا  
يعتريها أى فساد عندما توضع في النار، مع أنه عندما توضع في  
النار تبدو للناظرين أنها تتفحم لكن عندما يخرجونها من النار تصير  
نقية كما لو أنها أُلقت في الماء فصارت نقية. كانت أجساد الثلاث  
فتية في أتون النار مثل هذه المادة وذلك من جراء الصوم (انظر  
١١د: ٨—١٦). إذ أنهم برهنوا وهم في أتون النار أنهم أقوى من النار  
كما لو كانت طبيعتهم من الذهب. والحق يقال إنهم أظهروا أنفسهم  
أنهم أقوى حتى من الذهب. إذ لا أحد وقتذاك كان قادراً على منع  
تلك النار التي صبوا عليها زيت ونفط ومواد سريعة الاشتعال حتى  
أنها امتدت لارتفاع تسعة وأربعون زراعاً وأكلت كل ما هو موجود  
حولها. هذه النار المتقدة تمشوا فيها الثلاث فتية بعد أن صاموا، لقد  
تسموا نسيماً لطيفاً وهواءً بارداً عليلاً في وسط هذه النيران الشديدة  
لأن الكتاب يقول " لم تكن للنار قوة على أجسامهم وشعرة من  
رؤوسهم لم تحترق وسراويلهم لم تتغير ورائحة النار لم تأت عليهم "  
(١د: ٢٧).

<sup>٣</sup> مادة تحتمل النار ولا تتأثر بها.



## الصوم ودانيال النبي:

٧ - ودانيال الرجل الذي لم يأكل خبزاً لمدة ثلاثة أسابيع ولم يشرب ماءً (انظر دا ١٠: ٢-٣) علّم الأسود أن تصوم عندما نزل جُب الأسود (انظر دا ٦: ١٦-٢٢). والأسود لم تستطع أن تلتهمه بأسنانها وكان جسده مصنوع من الحجر الصلد أو النحاس أو من أى معدن آخر صلب. هكذا يُقوَّى الصوم الجسد ليصير مثل الحديد مما جعل الأسود لا تقوى عليه. لأنهم لم يستطيعوا أن يفتحوا أفواههم أمام القديس. فالصوم " أطفأ قوة النار وسد أفواه الأسود"٤.

## الصوم والحياة العملية:

الصوم يُصعد الصلاة إلى السماء كما لو كانت ريشة تطير نحو الأعلى. الصوم هو سبب رُقِيّ وتقدم الشعوب، الصوم أصل الصحة، الصوم مربى للشباب وزينة الشيوخ، والرفيق الصالح للمسافرين. الصوم هو خيمة آمنة للذين يطلبون مأوى. فالرجل المتزوج لا يرتاب من زوجته عندما يراها تصوم دائماً. بالمثل فالمرأة تثق في رجلها ولا تدع الغيرة تتملكها عندما تراه يصوم دائماً. هل تسبب الصوم في ضرر لأحد؟ طبعاً لا، فلن يغيب شيئاً من الأشياء الموجودة في البيت، لأن رب البيت الصائم لن يستدين أبداً. لن تسمع في هذا البيت حشرة موت من أى حيوان يُذبح، لن تجد دم في هذا البيت، لن تجد شهوة بطن تصدر قرار دموى ضد أى حيوان في البيت. سوف يتوقف سكين الجزار عن عمله. فالمائدة

٤ يضع القديس باسيليوس هذه العبارة بين قوسين لعله أخذها من نص معروف وقتذاك لدى الكنيسة. ومن الجدير بالذكر أن هذه العبارة موجودة في قسمة الصوم الكبير.



تكفى بأطعمة خفيفة بسيطة. وكما أعطى السبت لليهودى، إذ يقول الكتاب " لا تصنع عملاً ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمنتك ونزليك الذي داخل أبوابك" (خر ٢٠: ١٠). لندع الصوم بكون فرصة راحة للخدم الذي يعملون طوال العام. أعط راحة لطباخك واسمح لخدمك بإجازة، لا تقبل دعوة من أحد لمائدة احتفالية. ليت صانع الحلوى يتوقف عن صنعها. ليت البيت يهدأ وتختفى الضوضاء والجلبة الكثيرة، ليت الدخان ورائحة الشواء يختفيا من البيت، ليت الخدم يستريحون، هؤلاء النازلون والصاعدون على السلام ليخدموا البطون الشرهة. وكما أن محصلى الضرائب يعطون المديونين مهلة لترتيب أوضاعهم، هكذا فلتعطى الفم مهلة لتستريح البطن، مهلة لخمسة أيام، تلك (أى البطن) التي لا تتوقف مطالبها.

٨ — الصائم لا يعرف الاقتراض والسلف والدين. الصائم لا يعرف الفوائد التي يحصل عليها المرابين. الديون مثل الحيات لكنها لا تستطيع أن تقترب من أولاد الصائم. أضف إلى ذلك أن الصوم يصير دافعاً للابتهاج والسرور. لأنه مثل العطش الذي يجعل كأس الماء حلوًا وكذلك الجوع الذي يجعل المائدة شهية، هكذا الصوم يبهج متعة الطعام. إذ بالانقطاع عن الأكل يصير تناول الطعام أمرًا جميلًا كلقاء الأحباء بعد طول سفر. وإذا أردت أن تتحقق من هذا الأمر، عليك أن تخضع للصوم، لكن للأسف وأنت محاط بشدة بالتحمة قد نسيت نفسك بإنكبابك على الأطعمة. لقد أبطلت لذة الأكل بمحبتك وانسياقك الدائم للأكل والشرب. إذا أردت أن تستمتع



بالطعام عليك أن تمارس الصوم. عليك أن ترى الشيء ونقيضه حتى تشعر بنعمة الشيء الذي تحصل عليه. هكذا الخالق قصد أن توجد أمور متنوعة في الحياة لكي نشعر ونُقدر الأشياء التي أُعطيت لنا. ألم ترى كيف تبدو الشمس أكثر لمعاناً بعد الليل المظلم؟ ألا تشعر بأن اليقظة حلوة بعد النوم الطويل، وأن قيمة الصحة عظيمة بعد اجتياز أزمات صحية؟ وهكذا تصير المائدة أكثر بهجة بعد الصوم.

### الغنى ولعازر الصائم:

٩ - عليك أن تتعظ من مَثَل الغنى، فالرفاهية المستمرة في الحياة سلّمت ذاك إلى النار. لأن الغنى لم يُدان لأنه كان ظالمًا، بل لأنه كان يحيا حياة الرفاهية لهذا فقد احترق في نار الأتون. ولكي نُطفئ تلك النار نحتاج إلى ماء (أى إلى الصوم). ليس للصوم فائدة فقط في المستقبل الأخرى لكن فائدته أيضًا بالأكثر هي لحياتنا الحاضرة. لأن للرفاهية والغنى الفاحش عواقب وخيمة حيث لا يقوى الإنسان على احتمال ثقل بدانة جسده. احذر من نفورك الآن من الماء وانسياقك وراء الخمر لأنك سوف تشتهي قطرة ماء مثل الغنى (انظر لو ١٦: ٢٤). فلا سمعنا أن أحد قد سكر من الماء. ولا أحد تألم رأسه بسبب أنه شرب ماءً كثيرًا. ولا أحد احتاج لصحبة أناس غرباء لكي يشرب ماء. ولا أحد تقيدت رجلاه<sup>٥</sup> بسبب الماء. ولا أحد صارت يده غير مقيدة<sup>٦</sup> وهو يرتوى بالماء. احذر أيضًا لأن سوء الهضم الذي يحدث بعد تناول أطعمة دسمة يسبب أمراض

<sup>٥</sup> إيمان الخمر يجعل الإنسان لا يقوى على المشى كما لو كانت قدميه مقيدة.

<sup>٦</sup> بمعنى أن السكر لا يتحكم في حركات يديه فيضرب بهما في كل اتجاه.



مخيفة للجسد، ألا تلاحظ أن لون بشرة الصائم هو جميل وهادئ، فوجه الصائم لا يعتريه أى إحمرار من الخجل. إنه مزين بالحشمة والأدب، عيناه وديعنان، تصرفاته حكيمة، وجهه مشرق، ابتسامته زينة، كلامه موزون ، قلبه طاهر ونقى.

### الإقتداء بالقدسين في صومهم، المسيح هو أساس الصوم:

لذا عليك أن تتذكر القديسين في كل العصور، هؤلاء الذين " لم يكن العالم مستحقاً لهم" (عب ١١: ٣٧-٣٨). عليك أن تقتدى بهم في تربيتهم وسلوكهم، إن كنت تريد أن يكون لك نصيباً معهم. وأنا أسألك ما الذي أراح لعازر في أحضان إبراهيم؟ (انظر لو ١٦: ٢٣). أليس هو الصوم؟ كما أن حياة يوحنا المعمدان كانت صوماً مستمراً (انظر مت ٤: ٣). فلم يكن ليوحنا المعمدان سريراً ولا مائدة طعام ولا حقولاً ولا أبقاراً ومحراثاً ولا فرن لعمل الخبز ولا شئ من الأشياء اللازمة للمعيشة، لذلك قيل عنه " لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان" (مت ١١: ١١). الصوم الذي افتخر به بولس هو الذي أصعده إلى السماء الثالثة (انظر ٢كو ١١: ٢٧، ١٢: ٢).

لكن أساس كل شئ هو ربنا يسوع المسيح الذي صام - إذ اتخذ جسداً - لأجلنا وانتصر على الشيطان لكي يعلمنا أنه بالصوم نجهز أنفسنا لمواجهة محاربات الشيطان، كأنك تضع لجاماً لخصمك. لأنك عندما تسمو بالصوم لا يستطيع العدو أن يقترب منك. وإن كان المسيح بعد قيامته قد أكل " فأخذ وأكل قدامهم" (انظر لو ٢٤: ٤٣)، فإنه فعل ذلك لكي يؤكد على حقيقة قيامته بالجسد. وأنا أسألك: أى



شئ فعلته بخصوص الوصايا الخلاصية والمحبيّة وأنت تحرم ذهك من الأطعمة الروحية؟ ربما تجهل أن النظم الحربية تعترف بأن الانحياز إلى طرف في الحرب يجعل هزيمة الطرف الآخر مضمونة؟ أقول لك هذا، لأن هذا هو ما يحدث عندما تتعاون مع شهوات الجسد وتتحاز لها فتصير بذلك محاربًا ضد الروح، والعكس يحدث عندما تتحاز للروح فتستطيع بسهولة هزيمة شهوات الجسد. لأنك تعرف أن الاثنين أى الروح والجسد " يقاوم أحدهما الآخر " (غلا:٥:١٧) لدرجة أنك إذا أردت أن تقوى الذهن عليك أن تقم جسدك بالصوم. وهذا هو ما يقوله الرسول بولس أى بقدر ما يفنى الإنسان الخارجى، بقدر ما يتجدد الإنسان الداخلى أيضاً (٢كو٤:١٦). هل لا تشتهى مائدة الملك؟ إذا دعنى أسألك من من هؤلاء الذين يحيون في رفاهية مستمرة قبل شركة الموهبة الروحية؟ من هم الذين سقطوا في الصحراء أثناء ترحال شعب الله إلى أرض الموعد؟ (عب٣:١٧) أليسوا هم هؤلاء الذين طلبوا أكل اللحم؟ (عد١١:٣٣). هؤلاء البشر لم يكتفوا بالمنّ ولا بالماء الذي خرج من الصخرة، وكانوا بالأمس قد انتصروا على المصريين وعبروا البحر الأحمر. لكن بسبب أنهم اشتهوا اللحم المطبوخ في الأواني (انظر خر١٦:٣) تفهقروا إلى الخلف، ولم يرى أحد منهم أرض الموعد. هل لا تخاف من تكرار هذا النموذج؟ هل لا ترتعب من حقيقة أن الانسياق وراء الأكل ربما يحرملك من الخيرات المنتظرة؟ أستطيع أن أقول لك إنه ولا الحكيم دانيال النبى كان سيرى رؤى إن لم يكن قد تطهر أولاً بالصوم. لا أخفى عليك أن الأكل الدسم ينبعث منه





أدخنة تَعْتَمُّ أنوار العقل التي تأتي من الروح القدس. يوجد غذاء ملائكي كما يقول النبي "أكل الإنسان خبز الملائكة" (مز ٧٨: ٢٥). غذاء الملائكة مختلف عن بقية الأطعمة، فهو ليس لحم ولا خمر ولا طعام يهتَم به عبيد البطن. تذكّر أن الصوم هو سلاح لمحاربة الشياطين، لأن "هذا الجنس لا يمكن أن يخرج بشئ إلا بالصلاة والصوم" (مر ٩: ٢٨). لكن شهوة محبة الأكل هي بداية الإهانات<sup>٧</sup>، إذ أن الرفاهية والإدمان ومحبة اللذات تثير فينا كل أنواع الفحشاء. وكما يقول النبي إرميا: يصير البشر "حُصْنًا<sup>٨</sup> معلوفة سائبة" (إر ٥: ٨) وذلك بسبب الأهواء التي تنتج من ترف النفس. إن الانحرافات في السلوك البشري تأتي من هؤلاء المدمنين والسكران الذين يمارسون أمورًا شائنة ويستخدمون المرأة والرجل على عكس طبيعتهما. لكن الصوم يعلمك الاعتدال في الزواج "لا يسلب أحدكم الآخر إلا أن يكون على موافقة إلى حين لكي تتفرغوا للصلاة والصوم" (١كو ٧: ٥).

### خاتمة:

١٠ - إذا لا تحصر الصوم في الابتعاد فقط عن الأطعمة. لأن الصوم الحقيقي هو الابتعاد عن الشرور "أن تحل قيود الظلم" (إش ٦٣: ٦). فإن كنت في الصوم لا تأكل لحومًا لكن مع الأسف تأكل لحم أخيك. وإن كنت لا تشرب خمرًا لكنك لا تستطيع أن

<sup>٧</sup> بحسب القديس باسيليوس، إن حب الإنسان للشراهة والدناءة هو السبب في سقوط الإنسان من الفردوس وفي الحالة المهينة التي صار عليها.

<sup>٨</sup> حُصْنًا جمع حصان.



تضبط لسانك عن الشتائم. وبالرغم من أنك تنتظر حتى المساء لكي تتناول الطعام، إلا أنك تقضى كل نهارك في المحاكم " ويل لإكليل فخر سكارى أفرام وللزهر الذابل جمال بهائه الذي على رأس وادى سمائن المضروبين بالخمير " (إش:٢٨:١).

أرجو أن تلاحظ أن الغضب يُعتبر بمثابة سُكر للنفس، لأنه يجعل النفس تائهة مثلما يفعل الخمر. الحزن أيضاً هو إدمان وسُكر إذ يُغرق العقل. والخوف كذلك هو سُكر وإدمان عندما يحدث في غير موضعه. لأن مكتوب " من خوف العدو احفظ حياتي " (مز٤٦:١). وعموماً أى تصرف أو فكر يُخرّب العقل يُدعى حقاً سُكراً. تأمل، من فضلك، الغضوب كيف أنه يتصرف كالكسبر فهو لا يضبط نفسه أو كلامه ولا يعرف حتى الذين هم معه في مجلسه. إنه يشبه من يتعارك في ظلمة الليل فيمسك بأى شئ في طريقه، ويتعثر في أى شئ أمامه ولا يعرف ماذا يقول، ولا يستطيع أن يضبط نفسه، فهو يشتم ويضرب، ويهدد، ويقسم ويصرخ. عليك أن تهرب من هذا السُكر تماماً كهروبك من السُكر الحقيقي الذي يسببه الخمر. لا تحترق شرب الماء بدلاً من شرب الخمر، لأن الخمر لا يقودك إلى الصوم. فلا يوجد دخول إلى الصوم من خلال السُكر، كما لا يتحقق العدل من خلال الظلم ولا الانضباط من خلال الفسق، ولا الفضيلة من خلال الشر. باب الصوم له طريق آخر. فبينما يقود الإدمان إلى الفجور فإن الانضباط يقود إلى الصوم. وكما أن الرياضى يتمرن أولاً قبل أن يخوض في أى منافسة هكذا الذي هو مقبل على الصوم عليه أن يضبط أولاً. لا تتصرف كما لو كنت تتصرف بانتقام لأنك

مُقبل على فترة صوم، فلا تجعل آفة إدمان الخمر تملكك قبل الدخول في الخمس أيام الأولى للصيام. لن تستفيد من قمعك للجسد ولن تتعزى وأنت تحرم نفسك من الطعام إذا امتلكت شهوة إدمان الخمر. وكأنك تلقى خزينتك في إناء مثقوب. فالخمر يذهب والخطية وارتاب الآثام يبقيان. العبد يهرب عندما يضربه سيده، أما أنت فإنك تترك نفسك للخمر بالرغم من أنه يضرب دماغك يوميًا وأنت تعرف أن احتياج الجسم المريض للخمر هو محدود كما يعلمنا الكتاب (انظر ١ تيمو ٥: ٢٣).

إن لم تتضبط اليوم ولا تتعدى حدودك في استخدام الخمر، غدًا سوف تصبح رأسك ثقيلة وسوف تتوه، وتدوخ وستنبعث منك رائحة الخمر الكريهة. سيبدو لك أن كل شيء حولك يلف ويدور ويتأرجح. علاوة على ذلك يُسبب لك السكر أيضًا نومًا يشبه الموت وكذلك يقظة تشبه يقظة الأحلام.

١١ - عرفت إذًا مَنْ هو الذي عليك أن تقبله؟ إنه ذاك الذي كرز قائلاً " إن أحبنى أحد يحفظ كلامي ويحبه أبى إليه نأتى وعنده نصنع منزلًا " (يو ١٤: ٢٣). لماذا تسلك في طريق السكر والإدمان وتغلق الباب المؤدى إلى الرب؟ لماذا تُعطي للشيطان فرصة لأن يهاجمك؟ فالسكر لا يقود إلى طريق الرب، السكر يبعد عنا الروح القدس. لأنه كما يطرد الدخان النحل كذلك الإدمان يطرد المواهب الروحية.

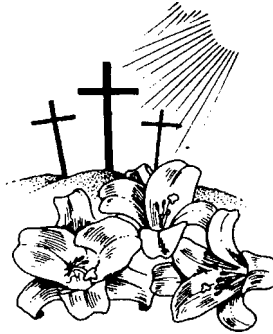
الصوم هو كرامة المدينة

سلام الشعوب



خلاص لكل ما هو موجود

هل تريد أن ترى عظمة الصوم؟ قارن، من فضلك، هذا بما سيحدث غدًا. سوف ترى أن المدينة تغيّرت من الاضطراب والفوضى إلى السكينة والهدوء. أتمنى أن هذا المساء يشبه ما سيصير غدًا من حشمة ووقار وغدًا لا يقل عن اليوم في الابتهاج. والرب الذي قادنا إلى هذه الفترة من السنة (الصوم) ليته يعضدنا — كما لو كنا مصارعين قد أظهرنا ثباتًا وقوةً وصبرًا في المنافسات التمهيدية — لكي نصل إلى يوم البر، يوم الأكاليل، من الآن حيث ذكرى آلام المخلص، إلى يوم المجازاة العتيد للذين عاشوا منا برّ المسيح الذي له المجد الدائم إلى الأبد آمين.



# العظة الثانية

## الصوم سلاح روحي:

١- " عزوا عزوا شعبي يقول إلهكم طيبو قلب أورشليم" (إش ٤٠: ١)  
(٢-

إن إلقاء الكلمات المُشجّعة تُشدّد العزائم وتشدّد الهمم، وتُحفّز الكسالى والمتوانين على العمل. ومن أجل هذا فإن العسكريين عندما يُعدّون الجيش لمعركة قادمة، فإنهم يشرعون في إلقاء الخطب الحماسية عن ضرورة القتال، ويقدمون النصائح والوصايا التي لها من القوة أن تجعل الكثيرين في مرات عديدة أن يستهينوا بالموت. أيضًا عندما يقوم المدّربون، بقيادة الشباب الرياضيين في المباريات وهم داخل الاستاد، فإنهم يقدمون نصائح كثيرة عما يجب أن يفعلوه وأنه ينبغي عليهم أن يبذلوا أقصى جهد لكي يفوزوا ويتّوجوا، حتى أن الكثيرين عندما يقتنعون بأهمية وشرف الانتصار يستهينوا بالأتعاب الجسدية. وبناء عليه فإنني أُعدّ جنودًا للمسيح من أجل الحرب ضد الأعداء غير المرئيين وأحثّ المجاهدين على التقوى وضبط النفس، لكي ينالوا تيجان البر، لذلك فهناك ضرورة لتقديم النصيحة والإرشاد.

ماذا أريد أن أقول أيها الاخوة؟ إن أولئك الذين يدرسون الأمور الخاصة برياضة المصارعة التي تُمارس في حلبة المصارعة، يعرفون أنه أمر طبيعي إذا حدث إسراف في الطعام فسيزداد وزن الرياضيين، حتى أنه يصعب عليهم المشاركة في المباريات. لكن أنتم لا تُصارعون مع لحم ودم، بل " مع الرؤساء. مع السلاطين مع



ولاية العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات" (أف:٦:١٢). إذاً في هذه الحرب من الضروري ممارسة الصوم وضبط النفس لأن الدسم يُزيد وزن من يجاهد، بينما الصوم يقوي الإنسان التقى. حتى أنه على قدر ما يفقد الجسد هذه الزيادة، على قدر ما تشرق النفس بالبهاء الروحي. لأن الانتصار على الأعداء غير المرئيين لا يتحقق بالإمكانات الجسدية، لكن بإصرار النفس وصبرها على الضيقات.

### الصوم رفيق حسن في الطريق:

٢ — إذا فالصوم — لأولئك الذين يعرفون قيمته — هو نافع ومفيد طول العام، لأن الحيل الشيطانية لن تؤثر في الصائم، وبالأكثر فإن الملائكة الحارسون لحياتنا يظلوا إلى جوار أولئك الذين تتقوا بالصوم، وبالأولى جداً الآن حيث انتشرت البشارة في كل المسكونة ولا يوجد مكان في الأرض لم يسمع بالبشارة سواء كان جزيرة أم قارة أم مدينة أم أمة، أو أقصى الأرض. وأيضاً الجنود في معسكراتهم، والمسافرين والبحارة والتجار، جميعهم قد سمعوا الدعوة المملوءة فرحاً وقبلوها. حتى أنه لا ينبغي لأحد أن يستثنى نفسه من قائمة الصائمين. وهذه القائمة تشمل على كل الأجناس وكل الأعمار وكل المناصب. إن الذين يسجلون قائمة الصائمين في كل كنيسة هم الملائكة. فلتحذر — ربما بسبب شهوة عابرة للأكل — أن تفقد تسجيل اسمك، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ستجعل نفسك في حكم الفارين من الجندية. إن الخطر الذي يتعرض له شخص ترك درعه أثناء المعركة، يُعد أقل إذا ما قورن بترك سلاح الصوم.



فإن كنت غنيًا لا تهين الصوم بأن تستكف أن تُعد مائدة تحوى أطعمة للصوم، ترى أنها لا تليق بك ولا ينبغي أن تُبعد هذه الأطعمة من بيتك، كأنها محتقرة بسبب أنها لا تحقق اللذة المرجوة، حتى لا يُدينك مُشرِّع الأصوام وتعانى من تأديبات كثيرة، مثل أن يُحكّم عليك بأمراض جسدية أو أى ظرف آخر مؤلم. وإن كنت فقيرًا، فصمّ ولا تخشى سخرية البعض منك بقولهم إنك صائم دائمًا بسبب حالتك المادية. وأقول للمرأة أن تصوم، فالصوم لها مثل التنفس هو أمر طبيعى ومألوف، وللأولاد الذين هم مثل النباتات النضرة الخضراء، يرتون بماء الصوم. بالنسبة للكهنة فإن الألفة القديمة مع الصوم تجعل الأتعاب سهلة. لأن الأتعاب التي تأتي بعد عادات استقرت طويلًا لا تُثير آلام كثيرة عند المتمرنين عليها.

بالنسبة للذين يرتحلون كثيرًا، فإن الصوم هو رفيق حسن للطريق. فكما أن الأطعمة تؤدي بالضرورة إلى زيادة الوزن، هكذا فإن الصوم يجعلهم أقل وزنًا وأكثر حيوية وحركة. ثم أنه عندما يُنادى بحملة عسكرية خارج حدود الدولة، فإن الجنود يُزودون بالاحتياجات الضرورية وليست تلك التي تُثير المتع. أما من جهتنا نحن الذين نحارب ضد الأعداء غير المرئيين، فإنه لا يليق بنا بالأكثر أن نُقبل على الأطعمة، بل يجب أن نكتفى بالاحتياجات الضرورية، كما لو كنا نتدرب في معسكرات. لأن هدفنا هو الانتصار عليهم والانتقال إلى الوطن السماوى.

### الصوم وحياة التقوى:

٣ - " فاشترك أنت في احتمال المشقات كجندى صالح ...



وأيضًا إن كان أحد يجاهد لا يكَلِّل إن لم يجاهد قانونيًا" (٢٣:٥).  
 ينبغي على ألا أتجاهل ما ورد بخاطري الآن وهو ما أريد التحدث  
 عنه، أن النصيب المُقَدَّم من الأكل للجنود يزداد وفقًا للأتعاب لكن  
 بالنسبة للجنود الروحيين فإن الجندي الذي له طعام أقل له رتبة  
 أعلى. كما أن خوذتنا تختلف جوهريًا عن الخوذة الأخرى التي  
 تتعرض للتلف، لأن المادة التي تُصنع منها الخوذة هي النحاس، أما  
 الأخرى فقد أُعدت وتثبتت برجاء الخلاص (انظر اتس ٥:٨).  
 والدرع بالنسبة للجنود العالميين مصنوع من الخشب والجلد، أما  
 بالنسبة لنا فهو ترس الإيمان وقد سيج حولنا بدرع البر والسيف  
 الذي نستخدمه في الدفاع هو سيف الروح القدس (انظر  
 أف ٦:١٦-١٧). لكننا نجد أن الآخرين يفضلون السيف المصنوع  
 من الحديد، وبالتالي فإن الطعام بحد ذاته لا يقويهم. لكن الذي يقوينا  
 نحن هو حياة التقوى، بينما من يشتهون الأكل فلهم احتياج لأن  
 يملأوا بطونهم.

إن دوران الزمن يحمل لنا مرة أخرى تلك الأيام الجميلة، وعلينا  
 أن نُقبل على تعاليم الكنيسة بفرح، كما يفرح الطفل بأمه. لأنه بهذه  
 التعاليم فإن الكنيسة تطعمنا بالتقوى. إذا متى صُمت لا تكن عابسًا  
 مثل اليهودي، لكن اجعل ذاتك مُشرقة بالفرح (انظر  
 مت ٦:١٦-١٧). بمعنى أنه لا ينبغي أن تحزن لأجل حرمان بطنك  
 من الأطعمة، بل أن تفرح من كل نفسك من أجل المتع الروحية.  
 لأنك تعلم جيدًا أن "الجسد يشتهي ضد الروح. والروح تشتهي ضد  
 الجسد" (غلا ٥:١٧). إذا لأن كل منهما (أى الجسد والروح) يشتهي





ضد الآخر، فلنقلل من شهوة الجسد، ولنزيد من قوة النفس، لكي نلبس إكليل العفة، حيث إنه بالصوم نحصل على الغلبة ضد الشهوات.

### الصوم ونقاوة النفس:

٤ - إذا، فلتجعل نفسك مستحقة للتكريم عن طريق هذا الصوم المبارك، ولا تُفسد عفة وطهارة الغد، بسكر اليوم. واعلم أن القول بأنه يحق لنا بعد الصوم أن نغرق في السكر هو بمثابة فكر شرير وخبيث. فكما أنه لا يوجد أحد - عندما ينوى أن يتزوج من امرأة وقورة بحسب القوانين - يسمح بوجود زانية في بيته، لأن الزوجة الشرعية لا تقبل ولا تحتمل أن تسكن مع ساقطة. هكذا يجب عليك أنت أيضاً ألا تلجأ أولاً إلى السكر أو تلجأ جهاراً إلى الزنى، أى إلى مصدر الوقاحة وصنو الخداع، إلى الخبل، وإلى قبول كل فكرة مرذولة بكل سهولة، بينما تنتظر الصوم. إن النفس التي تلوثت بالسكر، لا يسكن فيها الصوم والصلاة<sup>١</sup>. إن السيد الرب يقبل في شركته ذلك الذي يصوم، بينما لا يقبل في شركته الدنس والنجس والمدمن. فلو أنك أتيت غداً ورائحة الخمر تفوح منك، كيف أحسبك صائماً وأنت في هذه الحالة من السكر الشديد؟ ولا تُقيم حساباتك على أنك مؤخرًا لم تشرب خمرًا بصورة كبيرة، لكن التقييم الحقيقي هو أنك لم تتنقى من إدمان الخمر بعد. في أى وضع يمكن أن أصفنك؟ هل أضعك ضمن السكارى، أم من ضمن الصائمين؟ لأن

<sup>١</sup> بحسب فكر آباء الكنيسة، فإن الصوم بصاحبه الصلاة ولا يمكن قبول الواحد دون الآخر.



حالة السكر السابقة تجذبك نحوها، بينما إتباع نظام التقليل في الطعام يؤكد الصوم. أنك مُستعبد للسكر وستظل محصوراً في ذاتك، لأنه إن كانت رائحة الخمر لازالت في الوعاء، فهذا يُعد دليلاً واضحاً على العبودية. وأقول لك بطريقة مباشرة وبلا مواربة إن أول يوم في الصوم سيكون بالنسبة لك بلا فائدة وغير مناسب، لأن بقايا السكر مازالت موجودة داخلك " فلا سارقون ولا طماعون ولا سكيرون ولا شتامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الله " (١كو٦:١). فهؤلاء بدايتهم بل وكل مسيرتهم محترقة، ومن الواضح أنهم مردولون.

ما هو النفع لو أنك أقبلت على الصوم وأنت سكران؟ لأنه إن كان السكر يُبعدك عن الملكوت، فكيف يكون الصوم نافعاً لك؟ ألا ترى كيف أن هؤلاء الأكثر خبرة في ترويض وإعداد الخيول قبل مباريات السباق، يُقلّون طعام الخيول التي ستشارك في السباق؟ بينما أنت تسرف عمدًا في الشراهة. إنك تتجاوز الخيول بكثير من جهة النهم!. كما أنه ليس من الحكمة في شئ أن تكون البطن مملوءة وثقيلة، ليس لأن هذا غير مفيد في حالة السير فقط، بل ولا في حالة النوم أيضاً، لأن المعدة وهي متخمة لا يمكنها أن تهدأ، لكنك تضطر أن تنقلب مرة إلى هذه الناحية ومرة إلى الناحية الأخرى.

### الصوم هو معلم الهدوء:

٥ - والصوم يحفظ الأطفال ويهذب الشباب ويجعل الشيخ أكثر وقاراً. لأن الشيخوخة عندما تكون مزيّنة بالصوم، تصبح أكثر وقاراً. وهو للمرأة زينة لائقة ومناسبة، ولجام لكل من هم في حالة عنفوان



كما يُمثل الصوم حفظًا للحياة الزوجية وغذاءً للبتولية. مثل هذه الأمور ينبغي أن تكون موضع اهتمام كل بيت.

ولنرى كيف تُمارس السياسة في حياتنا العامة؟ تمارس على النحو الذي فيه تصير الأمور مُنظمة ويهدأ الصباح وتنتفى المنازعات ويتوقف الكلام السيئ، يحدث هذا في المدينة كلها ومن نحو كل الشعب. وهل هناك معلّم مثل الصوم يستطيع بحضوره أن يعيد الهدوء لأولادنا الذين يثيرون الضوضاء؟ فهو أيضًا الذي يكبح اضطرابات المدينة عندما تثور ومنّ من أولئك المشاركين في اللهو يستطيع أن يتقدم نحو الصوم؟ وأى رقص ماجن يمكن أن يتناسب مع الصوم؟ فالضحكات الناعمة، والأغاني الهابطة، والرقصات المثيرة للشهوة، هذه كلها ستُطرد خفيةً من المدينة عندما يحل الصوم كما لو لأنها قد هربت من أمام قاضٍ متشدّد.

فلو أن الجميع قبلوا الصوم كمرشد لن تحدث هذه الأفعال ولن يوجد أى شئ يمكن أن يُعيق سيادة السلام الكامل في كل المسكونة، طالما أن الأمم لن تثور الواحدة ضد الأخرى ولن تتصادم الجيوش فيما بينها. لو ساد الصوم، فلن تُصنّع الأسلحة ولن تُقام المحاكم ولن يُسجن البعض، وبصفة عامة لن يصير القفر مكان استضافة للمجرمين ولن تستضيف المدن أصحاب الدسائس ولا البحار ستصير ملجأ للقراصنة.

لو أن الجميع تتلمذوا على الصوم فلن يُسمع مُطلقًا بحسب ما كتب أيوب، صوت محصل الضرائب، وأيضًا لو أن الصوم ساد على حياتنا (أيوب ٣: ١٨) فلن تصيبها الحسرة أو تصير مملوءة

بالتجهم والعبوس لأنه من الواضح أن الصوم سوف يُعلّم الجميع ليس فقط العفة، لكن أيضًا الرحيل الكامل والتغرب عن البخل والطمع وعن كل شر. فلو أننا ازدربنا بهذه الأمور، فلن يكون هناك شيئًا يمكن أن يُعيقنا عن أن نتمتع بسلام عميق ونفس مملوءة بالهدوء.

### ثمار الصوم:

٦- لكن هؤلاء الذين يرفضون الصوم الآن هم من ناحية يسعون نحو الترف والتمتع كسعادة في هذه الحياة، ومن ناحية أخرى يجلبون الكثير من الشرور على أنفسهم وبالأكثر يدمرون أجسادهم. ولتلاحظ من فضلك الفروق بين هؤلاء الأشخاص الذين سيحضرون هذا المساء وأولئك الذين سيأتون في الغد. اليوم ستجدهم منتفخين ووجوههم حمراء جدًا، مُبللين بسبب العرق الكثيف، وعيون زائغة ومحرومة من الرؤية الدقيقة بسبب الظلام الداخلي، لكن غدًا سنجد أشخاص خجولين، وقورين، لونهم طبيعي، ومملوئين بالحكمة والأحاسيس الصادقة، طالما أنه لا يوجد أي علة داخلية يمكن أن تظلم حياتهم.

الصوم هو تشبيهه بالملاكمة، رفيق الأبرار، حياة العفة. الصوم هو الذي جعل موسى مشرّعًا. وصموئيل أيضًا هو ثمرة صوم حنة النبيّة التي صلّت إلى الله بعدما صامت قائلة: " يارب الجنود إن نظرت نظرًا إلى مذلة أمتك وذكرتني ولم تنسى أمتك بل أعطيت أمتك زرع بشر فأني أعطيه للرب كل أيام حياته " (اصم ١: ١١). " وخمرًا ومسكرًا لا يشرب حتى يوم الموت " (انظر قض ١٣: ١٤). الصوم هو الذي أسس



ونمى شمشون العظيم. وحتى ذلك الحين الذي وقف معه آخرين ضد آلاف القتلة من الأعداء، هدم أبواب المدينة وحده والأسوار لم تتحمله بسبب قوة يديه (انظر قض ١٤:٦). لكن عندما وقع أسيراً للسكر والزنا، وقع في أيدي الأعداء بعدما فقد بصره وصار لعبة في أيدي عبيد أمم غريبة (انظر قض ١٢:٦-٢٥). وبصوم إيليا توقفت السماء عن أن تُعطى مطراً ثلاث سنين وستة أشهر (انظر ١مل ١٧:١). فقد دعت الضرورة أن يدعو المستمعين إليه إلى صوم انقطاعي عن الأكل بعدما رأى أنه بسبب شهوة الأكل ازداد الظلم والإهانة بين الشعب. بهذا الإجراء توقفت خطيتهم، لأن الصوم قد قطع الطريق نحو تفاقم الشر، كما لو أنه قد قُطع بمقطع حاد.

٧ — هذا الصوم قد قبله الفقراء والساكنين معكم وشركاء المائدة الواحدة. إنه للعبيد راحة من عناء العمل، وهو للأغنياء شفاء من ضرر النهم، وفي هذا الإطار فإن الصوم يجعل الأمور التي كانت محتقرة قبلاً بحسب العادة، الآن أكثر متعة. والصوم للمرضى هو مصدر الصحة، وللأصحاء هو حفظاً للصحة الجيدة. فلنسال الأطباء وسيجيبونك بأن أكثر الأشياء خطراً على صحة الإنسان هو امتلاء الجسم. من أجل هذا فإن الذين هم أكثر خبرة بالصوم، يتخلصون من الدهون الزائدة حتى لا تسحق عافيتهم تحت ثقل الجسم الممتلئ. لأن الحرمان من بعض الأطعمة عن قصد، يؤدي إلى اختفاء الترهل الناتج عن زيادة الوزن، ويمنح غذاءً صحي ومريح ونسكى، وهكذا في كل عمل وكل عادة جسدية يكون الصوم هو أمر مفيد وهو مناسب لكل الأشياء الأخرى. فهو لائق في البيوت وفي السوق، وهو

مناسب في الليل وفي النهار، في المدينة والصحراء. إذا فلنقبل على الصوم بكل الطرق فهو الذي يمنحنا كل الخيرات، ولنقبله بالفرح وفقاً لكلمة الله لكي لا نظهر عابسين، بل نَظهر فرح النفس بدون تكلف (انظر مت ١٦: ١٧-١٧). ولا أتصور أن الحث على الصوم يحتاج إلى كل هذا الجهاد، إلاّ بسبب التحذير من أن يقع أحد اليوم في رذيلة السكر. لأن الكثيرين يقبلون على الصوم بسبب العادة وبسبب خجل الواحد من الآخر. لكنني أرتعب ممن يسكرون، فالإسراف في شرب الخمر هو مثل شئ يتوارثونه فيما بينهم. وهناك بعض الأغبياء الذين يسرفون في شرب الخمر قبل الصوم. ومثل هؤلاء الذين يقومون برحلات بعيدة، فإن البعض من الحمقى اليوم يسرفون في شرب الخمر وقتاً طويلاً قبل بداية الصوم. من ذا الذي يتسم بهذا القدر من حماقة، حتى أنه قبل أن يشرب يسلك سلوك السكارى غير المتزن؟ لا يوجد. ألا تعلم أن البطن لا تدخر شيئاً؟ البطن هي الرفيق الذي لا يحظى بالثقة. هي الخزينة التي لا تُضبط، لأنه بينما تُملأ بأشياء كثيرة، لا تحتفظ بها وقتاً طويلاً ويصيبها الضرر. انتبه أنت أيضاً لئلا يصادفك ما سيُقال غداً بشأن السكر، هذه التي قُرئت الآن " أمثل هذا يكون صوم أختاره" (إش ٥٨: ٥). لماذا تخلط بين الأمور التي لا تقبل الاختلاط؟ وأي علاقة للصوم مع السكر؟ وأي علاقة للسكر مع العفة؟ " وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان" (١كو ١٦: ٦). لأن هيكل الله هم أولئك الذين يسكن فيهم روح الله (١كو ١٦: ٣). بينما هيكل الأوثان هم أولئك الذين يقبلون شركة الرعاع السالكين في الفسق والفجور بسبب السكر.



هذا اليوم هو مدخل للأصوام وبالتأكيد فإن ذاك الذي تدينس عند المدخل لا يستحق أن يأتي إلى المقدسات. لا يوجد عبد يريد أن يكسب رضى سيده ثم يلجأ إلى عدوه باعتباره مدافعاً عنه وشفيحاً له. السكر هو عداوة الله لكن الصوم هو بداية التوبة. فلو أنك أردت أن تأتي إلى الله مرة أخرى عن طريق الاعتراف، فينبغي عليك أن تتجنب السكر حتى لا تتغرب عن الله فيصير تجديدك أصعب. لكن لا يكفي فقط الابتعاد عن الأمور الدنسة لئيمتدح صومك، لكن ينبغي أن تصوم صوماً مقبولاً ومرضياً أمام الله. الصوم الحقيقي هو في الابتعاد عن الشر وفي عفة الكلمة وفي البعد عن الغضب وفي الانفصال عن الشهوة وعن التجديف وعن الكذب وعن حلف الزور. البعد عن كل هذه الأمور، هو الصوم الحقيقي.

٨ - فلنبتهج في الرب بدراسة كلمات الروح وقبول العادات المخلصة وبكل تعليم يؤدي إلى تقويم أنفسنا. فلنحترس إذاً من الصوم الذي يسببه العوز أو الاحتياج. هذا الصوم لا يتمناه النبي القائل: "الرب لا يجيع نفس الصديق ولكنه يدفع هوى الأشرار" (أم ١٠:٣). وأيضاً "لم أر صديقاً تخلى عنه ولا نرية له تلتمس خبزاً" (مز ٣٧:٢٥). لأن ذاك الذي يعرف أن أبناء أبنينا يعقوب قد نزلوا مصر بسبب الاحتياج إلى الخبز، لا يمكنه أن يتكلم عن الخبز المادى المحسوس، لكنه يتكلم عن الطعام الروحى والذي به يصير إنساننا الداخلى كاملاً. نترجى ألا يأتي إلينا الصوم الذي هدّد به الله اليهود "هوذا أيام تأتي يقول السيد الرب أرسل جوعاً في الأرض. لا جوع للخبز ولا عطشاً للماء. بل لاستماع كلمات الرب"



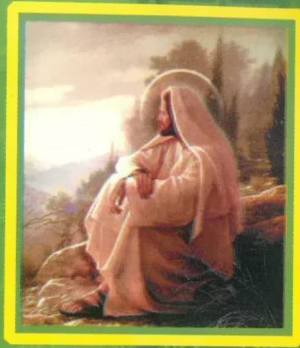
(عا:١١). وقد أثار هذا الجوع، القاضى العادل، لأنه رأى أن الإيمان الحقيقي في أذهان هؤلاء يتلوث بأمر هزيلة، وأن إنسان الخارج يزداد وزنه بصورة ملفتة للنظر ويصير كله جسد ضخم. إذاً كل الأيام القادمة سيقدّم لنا الروح القدس وجبة روحية مفرحة في الصباح والمساء<sup>٢</sup>. لذلك لا ينبغي أن يتغيّب أحد بإرادته عن هذه البركة الروحية. فلنتناول جميعاً من الكأس الروحي النقي والذي قدمته لنا الحكمة، بعدما فرحنا معاً، لكي ينهل منه كل أحد على قدر ما يستطيع. لأن الحكمة "نجحت نجحها مزجت خمرها" (أم٩:٢). أى أنه هذا هو طعام الكاملين الذين "بسبب التمرن قد صارت لهم الحواس مربة على التمييز بين الخير والشر" (عب٥:١٤). إن الغنى يتحقق بهذا، طالما أننا قد شبعنا به، ويا ليتنا نكون مستحقين لشركة الفرح ونحسب ضمن قائمة العرس في شركة يسوع المسيح ربنا الذي له المجد والقوة إلى الأبد أمين.



<sup>٢</sup> هذه إشارة إلى الكلمة التي ألقاها القديس باسيليوس، في صباح ومساء اليوم.







الصوم حارس للنفس ، ورفيق أمين للجسد ،  
الصوم سلاح الشجعان ، ومدرب النساء ،  
الصوم يصدّ التجارب ، ويمهد الطريق للتقوى ،  
إنه رفيق الهدوء وصانع العفة  
الصوم يعمل أعمالاً باهرة في الحروب ،  
ويعلّم السكينة في وقت السلام  
الصوم يقدّس النذير ويجعل الكاهن كاملاً  
الصوم يجعل العاقر تلد أولاداً ،  
ويصنع الأقوياء ،  
ويجعل المشرّعين حكّماء .

القديس باسيليوس الكبير

يطلب هذا الكتاب من :

✠ المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية ت: ٢٣-٢٤١٤٠٢٣

✠ بيت التكريس ت: ٤٨٣٦٣٨٩ - ٦٧٤٥٢١٩

✠ ومن المكتبات والكنايس بالقاهرة والأقاليم .

سعر النسخة: ١,٥ جنيه